

أدب الرحلات ودوره في الترويج للسياحة

رحلة "سوانح وارتسامات عابر سبيل" لمحمد الصالح رمضان نموذجاً.

The Role of Travel Literature in Promoting Tourism: A Case Study of Mohamed Al-Saleh Ramadan's "Reflections and Impressions of a Wayfarer."

*د. هشماوي فتيحة

جامعة عبد الحميد ابن باديس، مستغانم، (الجزائر)، Fatiha.hachemaoui@univ-mosta.dz

تاريخ النشر: 2024/12/27

تاريخ القبول: 2024/12/16

تاريخ الاستلام: 2024/09/11

ملخص: للأدب العربي باختلاف فنونه دور كبير في الترويج للسياحة المحلية أو الخارجية كونه أداة للتفكير ووعاء للثقافة وعنوان للهوية وأما السياحة فهي الأخرى ثقافة وهوية ترتبط ارتباطاً مباشراً بالمجتمع تلخص ماضيه وتنعش حاضره، ومن بين الفنون الأدبية التي تلعب دوراً فاعلاً في تمرير الخطاب السياحي بأسلوب شائق يحقق الأدبية والفنية والجمالية نذكر أدب الرحلات، هذا الفن الأدبي الذي يصور المكان بتفاصيله حاضره والزمان بتمثلاته، والأشخاص بلغتهم وأفكارهم، وبعاداتهم وتقاليدهم، وحياتهم وتحولاتهم واصفاً بدقة ما وقعت عليه أعينه مروجاً لوطن أو مجموعة أوطان. أمام الطرح سلطنا الضوء على رحلة "سوانح وارتسامات عابر سبيل" لمحمد الصالح رمضان، التي تحدث فيها عن المعالم السياحية في كل المدن التي مر بها أو أقام فيها بأسلوب يعكس شاعريته وحسه الأدبي والنقدي.

كلمات مفتاحية: الرحلات، الأدب العربي، الخطاب، السياحة، الفن.

Abstract: Arabic literature, with its diverse forms, plays a significant role in promoting both local and international tourism. It serves as a tool for thought, a vessel of culture similarly, tourism is also a culture and identity that is closely tied to society, summarizing its past and revitalizing its present. Among the literary arts that actively contribute to conveying tourism messages in an engaging manner, is travel literature. This genre depicts locations, capturing the essence of the present and the civilization, time, people, their traditions, and imaginations.

We highlight the travelogue Reflections and Impressions of Wayfarer by Mohamed Ramadan; he described the tourist landmarks of the cities he passed through, using a style that reflects his poetic as well as his literary and critical.

Keywords: travel; Arabic literature; discourse; tourism; art.

*المؤلف المرسل: هشماوي فتيحة، الإيميل: Fatiha.hachemaoui@univ-mosta.dz

1. مقدمة:

أدب الرحلة لون أدبي له علاقة وطيدة بالمجال السياحي الترويجي لمنطقة معينة أو مجموعة من المناطق، حيث ينقل الرحالة العديد من العناصر التاريخية والثقافية من خلال ما يصادفه من مظاهر وعادات وتقاليده ومعالماً أثرية، والتي لفتت انتباهه واصفاً بذلك انطباعات أفراد المجتمع، ومسجلاً أساليب عيشهم وناقلاً مختلف فنونهم وصناعاتهم وطريقة تفكيرهم، فيصبح مروجاً سياحياً بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لتلك المنطقة التي زارها.

فأدب الرحلة من الفنون الأدبية المهمة التي استقطبت اهتمام النقاد والعلماء والباحثين، والدارسين في مختلف المجالات فيجد فيها كل ذي حاجة ضالته الدينية أو السياسية أو الاجتماعية أو الثقافية وغير ذلك.

ومن بين الكتّاب الجزائريون الذين كتبوا في هذا الفن الأدبي وروّجوا للكثير من المدن التي زاروها نذكر الرحالة محمد الصالح رمضان في رحلته الموسومة بـ "سوانح وارتسامات عابر سبيل"

— فمن هو محمد الصالح رمضان؟

— وما هي تفاصيل هذه الرحلة؟

— وما هي المدن التي ذكرها في رحلته وروّج للجانب السياحي فيها؟

2. مفهوم الرحلة:

1.2 الرحلة لغة:

الرحلة لغة المضى في سفر حسب ما ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس في مادة

(ر ح ل) حيث نجده يقول: "الراء والحاء واللام أصل واحد يدلّ على المضى في سفر..."¹

ومن معاني الرحلة في المجال اللغوي أيضا الوجهة والمقصد حسب ما جاء في لسان العرب لابن منظور، وكذلك السير والانتقال من مكان إلى مكان آخر، إذ يقول: "الترحيل والرحال...، يقال: رحل الرجل إذا سار، و أرحلته أنا، ورجل رحول وقوم رحل أي يرحلون كثيرا، ورجل رحال عالم بذلك مجيد له..."²

قد وردت كلمة الرحلة في القرآن الكريم بمعنى التجارة وذلك في قوله عزّ وجلّ: "إِلَّا يَلَافُ قُرَيْشٍ
إِلَّا يَلَافُهُمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ"³

كما جاءت في السنّة النبوية الشريفة بمعنى السفر لغرض طلب العلم ونشر الدين الإسلامي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: "قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريق إلى الجنة".⁴

2.2 اصطلاحاً:

أمّا اصطلاحاً فقد تعدّدت مفاهيم كلمة الرحلة إلّا أنّها تصب في معنى واحد وهو انتقال شخص واحد أو جماعة من الأشخاص من مكان إلى مكان آخر، لمقاصد مختلفة ولأسباب متعدّدة، ذلك أنّ لكلّ رحالة—وهو الشخص المتنقل—سبب أو مجموعة من الأسباب دفعته لتلك الرحلة، وكذا هدف أو مجموعة من الأهداف ماديّة كانت أو معنويّة، سياسيّة أو اقتصاديّة أو دينيّة أو إداريّة أو سياحيّة...⁵

فالأهداف تختلف لتحقيق من خلالها غايات جمّة تستفيد منها مختلف القطاعات، ويتّسع أفق الاتّصال والتواصل بين الأشخاص.

وفي الحديث عن قيمة الرحلة والتنقّل من بلد إلى آخر بغية الاكتشاف يقول المسعودي: "ليس من لزم جهة وطنه وقنع بما نمى إليه من الأخبار عن اقليمه كمن قسم عمره على قطع الأقطار، ووزّع أيامه بين تقاذف الأسفار واستخراج كلّ دقيق من معدنه، وأثار كلّ نفيس من مكنه".⁶

ارتبطت الرحلة بالانتقال والسفر والحركة ليحقق منها الرحالة فوائد لشخصه وللآخر على حسب نوع الرحلة التي يخوضها.

3. الترويج السياحي في أدب الرحلات في الجزائر:

1.3 رحلة محمد الصالح رمضان—سوانح وارتسامات عابر سبيل:

أدب الرحلات من أقدم الفنون الأدبية يصف ويسرد فيه الرحالة ما يراه من عادات وتقاليد وثقافة وآثار وسلوك وأخلاق وغيرها .

وأما عن أدب الرحلات في الجزائر فقد تحدّث عنه أبو القاسم سعد الله في مؤلّفه "في تاريخ الجزائر الثقافي " وقد قسّمها إلى مجموعات حسب توجّه كلّ رحالة، فنجدّه يذكر:

- الرحلات الحجازية والتي كانت لغرض أداء مناسك الحجّ وذكر فيها رحلة محمد بن محمد بن منصور العامري التلمساني، وعبد الرحمن بن محمد بن الخروب المجاجي، الحسين الورثاني، وأبي راس الناصري، ابن عمّار.
- الرحلات العلميّة والتي كانت لأغراض اكتساب معرفة وتبادل خبرات ونقل علوم أو ثقافة فذكر رحلة عاشور بن موسى القسنطيني إلى المغرب والسودان لطلب العلم، رحلة عبد الرزاق بن حمدوش ورحلة محمد الزجاج والحاج ابن الدّين الأغواطي والتي كانت لغرض التجارة، وغيرها من الرحلات التي قسّمها إلى فترات قبل وأثناء وبعد الوجود الاستعماري.⁷

ومن بين الرحلات الثقافية الجزائرية التي ربطت ربطا مباشرا بين الرحلة والسّياحة نذكر رحلة الصّالح رمضان الموسومة ب(سوانح وارتسامات عابر سبيل).

2.3 محمد الصّالح رمضان: الرحالة الأديب، والمؤرّخ والنّاقد:

محمد الصّالح رمضان من مواليد القنطرة بالأوراس من ولاية باتنة سنة 1914م، التحق بالجامع الأخضر ليتّلمذ على يد ابن باديس عام 1934م، تقلّد عدّة مهام ومسؤوليات في جمعيّة العلماء المسلمين، انخرط في صفوف جبهة التحرير الوطني بعد اندلاع الثورة ليصبح اطارا ساميا في اللّجنة المركزيّة، وبعد الاستقلال تقلّد عدّة مسؤوليات سامية. عاد إلى التّعليم ثمّ أصبح مستشارا في عدّة قطاعات وللعديد من الوزارات وكترّم من طرف رئيس الجمهوريّة. للكتاب عدّة مؤلّفات أهمّها:

ألحان الفتوة، مسرحيّة الناشئة المهاجرة، العقائد الاسلاميّة لابن باديس، شهيد الكلمة رضا حوحو، الحسناء رواية مثلت على خشبة المسرحيّة، ديوان الأمير عبد القادر، كما له مساهمات في الصّحافة الجزائريّة، وكتابات متنوّعة في مختلف الصّحف والمجلّات وطنيا وعربيا.

توفي محمد صالح رمضان في يوم 22 جويلية 2008م.⁸

3-3- تفاصيل الرحلة:

تفاصيل رحلة محمد الصّالح رمضان من الجزائر إلى فرسوفيا عام 1955م والتي نشرها الرحالة في جريدة الشّعب الجزائريّة على شكل حلقات ابتداء من العدد 7396 في الأوّل من شهر أوت 1987م وانتهاء بالعدد 7423 في السّابع من شهر سبتمبر 1989م.

يصف مقدّم كتاب رحلة سوانح وارتسامات عابر سبيل الرحلة الدكتور عمر ابن قينة⁹ وصفا دقيقا فيقول: "كانت الرحلة في وفد رسمي تعددت أفراده مشاربهم وأهواؤهم وغاياتهم، عنوانها كما أسلفت "سوانح وارتسامات عابر سبيل" متلوا بعنوان فرعيّ هو رحلة إلى مهرجان الشباب والطلّاب في فرسوفيا سنة 1955م وعلى هامش ذلك تعليق دال يقول نصّا "نبضات قلب في كلمات،

وخطرات فكر في صفحات، وتأملات شاعر في وقفات

وقد أعد الكاتب رحلته منهجياً في ثلاثة أقسام وهي:

الرحلة إلى بولونيا، وفرصوفيا مدينة المهرجان، ومن وحيّ الرحلة¹⁰

يبدأ محمد الصالح رمضان بوصف رحلته الثقافية السياحية بعنوان "بين يديّ السوانح" والذي يعكس شاعريته وحسّه الأدبي، ليشعر في وصف الطريق والظروف التي ساعدته على السفر إلى البلاد الأوروبية فرصوفيا (وارسو) والجزائر تحت وطأة الاستعمار الفرنسي، وكيف كان الذهاب بحراً والعودة جواً، فنجدته وفي وصف دقيق ينقل للمتلقي معالم مختلفة تاريخية وجغرافية وكذا نظم سياسية، واجتماعية وذكر حسن استقبال الشعب البولوني للوفد الجزائري قائلاً: "استقبلنا الشعب البولوني وحكومته الناشئة أحسن استقبال في عيد استقلاله العاشر، كما يستقبل أعزّ الضيوف وأعلى الزوار."¹¹

فقد كان الاستقبال مميّزاً يليق بوفد يمثل شعباً مناضلاً ومكافحاً من أجل حريته.

4- الترويج السياحي للمدن في "رحلة سوانح وارتسامات عابر سبيل":

رّوج "محمد الصّالح رمضان" في هذه الرحلة لعدّة مدن أوروبية سمحت له رحلته الثقافية اكتشاف سحرها فحرص على نقل جمالها وذكر معالمها التي أبهرتة بشموخها وعراقتها فذكر:

__مدينة مرسيليا: يصف الرحالة جمالها بأسلوب أدبيّ انشائيّ شائق ومؤثّر حيث يقول: "المدينة التجاريّة الكبرى التي تكتنفها الجبال والتلال من ثلاث جهات، وأنّ الميناء يقوم على لسان من البحر طويل يتوغّل في قلب المدينة كالسيّف يقسمها نصفين متعادلين".¹²

فلاحظ كيف استطاع التعريف بهذه المدينة كقطب تجاريّ و سياحيّ.

__الساحل اللازورديّ: نجده يصفه وصفاً أدبيّاً ويربطه بالفنّ والشعر ويخصّه بفئة معيّنة من المجتمع، فيقول بأنّه: "حلم الفنّانين والشّعراء، ومصيف الكبراء والأمراء"¹³

__مدينة (كان): نجد الرحالة يربط السياحة بها بالأعمال الفنيّة التي تقام بها كلّ سنة، وبالاعتدال المناخي الذي يميّزها بقوله: "مدينة (كان) التي ينعقد فيها سنوياً أكبر مهرجان سينمائيّ ثمّ هي من أهمّ محطات الاستجمام والراحة على هذا القسم من الريفيرا الفرنسيّة، لجمال مناظرها الطّبيعيّة ولاعتدال مناخها وهوائها."¹⁴

__مدينة (نيس): يروّج الرحالة لهذه المدينة من خلال سحر مينائها

قائلاً: "أجمل مناء على ساحل الريفيرا الفرنسيّة"¹⁵

__مدينة (مونتي كارلو): يربط الرحالة السيّاحة في هذه المدينة بالمهرجانات الشّعبية المميّزة التي تقام بها، فيقول: "مونتي كارلو التي تجري فيها المهرجانات الشّعبية التّنكّرية".¹⁶

__مدينة (الريفيرا الايطالية): يشبّها في جمالها بجمال الريفيرا الفرنسيّة فيصفها قائلا: "وهي مثل الريفيرا الفرنسيّة جمالا وجلالا".¹⁷

__مدينة(البندقية): يتغزّل الرّحالة بجمال هذه المدينة بأسلوب إنشائيّ جذّاب، فيقول عنها: "تبدوا وكأنّها غارقة في الماء أو تسبح في البحر، أو هي تقع على صخور أو جزر عديدة قريبة من السّاحل، ممّا يجعل أحياءها أشبه شيء بأرخبيل يتكوّن من عشرات الجزر مختلفة الأشكال والأحجام".¹⁸

__مدينة (فيينا): و أمّا عن البطاقة السيّاحيّة الاشهاريّة لهذه المنطقة فقد صرّح بها الرّحالة واصفا لها بقوله: "تعتبر (فيينا) أشهر دار الأوبرا في العالم، وفيها أهمّ المتاحف والآثار التّاريخيّة والحضاريّة، وأجمل الدّور وأجمل القصور التي حوّل بعضها أو معظمها إلى متاحف لمختلف الفنون، وهي الآن قبلة السيّاح والزّوار لاحتوائها على أعزّ الآثار وأندرها".¹⁹

__مدينة (جنيف): اختصر الرحالة وصف هذه المدينة وربط جانبها التجاري بالجمال السيّاحي حيث نجده يقول: "هي مركز صناعيّ تجاريّ وسيّاحيّ هامّ".²⁰

وفي محطّة أخيرة من سرده لرحلته والتي عنوانها ب"وحي الرّحلة"، وجدناه يستذكر مدن سياحيّة سبق له أن زارها في رحلات سابقة، فذكر:

__مدينة (الأندلس): كانت قبلته الأولى في رحلاته خارج الجزائر، ليصنّفها ضمن المدن السيّاحيّة ويقول: "كانت أوّل رحلة إلى الخارج تلك التي عقدتها إلى الأندلس في صيف 1954م، مع نخبة من الكشّافة الإسلاميّة طفنا فيها عواصم الأندلس وأمّهات مدنها، تبدّلت قريحتي من الدّهشة التي استولت عليّ وعلى مشاعري لرؤية تلك القصور الشّامخة المنيفة، والمساجد الجليّة المشيّدّة، والقلاع والحصون الهائلة الضخمة التي بقيت على حالها، لأنّها تمثل أزهى وأزهر عصر من تاريخها ولأنّها تجلب لها السيّاح الذين يغمرون إسبانية بالعملة الصّعبة ولأنّ تلك الآثار جعلتها من أشهر البلدان السيّاحيّة في العالم، وبذلك صارت الموارد السيّاحيّة فيها من أهمّ الموارد الاقتصاديّة".²¹

فمدينة الأندلس قبلة السيّاح وذلك لما تزخر به من مناطق سياحيّة مرموقة عدّدها الرّحالة محمد الصّالح رمضان حيث ذكر قصر الحمراء بغرناطة، والجامع الأعظم بقرطبة، وقصور إشبيليّا ومرسيه، وأطلال الزّهراء والزّاهرة، وجنّة العريف وغيرها من الحدائق والسّاحات.²²

فبعد أن ذكر الرّحالة كلّ المعالم السيّاحيّة في مدينة الأندلس يعقد مقارنة بين الرّحلتين —رحلته إلى الأندلس في أقصى الجنوب الغربيّ لقارة آسيا ورحلته إلى فرصوفيا في الشمال الشّرقى لها—، وذلك في مختلف المجالات السياسيّة والاجتماعيّة والثّقافيّة، وكذا في سلوك شعبهما وطباعهما، مفضلا رحلته الثّانية لسبب مرافقة صديقه الشّاعر الحفناوي له وهو الأمر الذي لم يتيسّر له في الرّحلة الأولى.²³

وأما القسم الأخير من الرحلة فقد خصّصه الرحالة لمجموعة من القصائد الشعرية التي نسجها ناقلاً من خلالها حقائق علمية وتاريخية وجغرافية، وسياسية وسياحية، فمن الأبيات الشعرية ما وصف فيها معالم سياحية عنونها بـ "قصر الثقافة والعلوم" يقول فيها:

عَجَبًا مِمَّا يُلْفَتُ الْأَنْظَارَ فِي فُرْصُوفِيَا بَعْدَ النَّهْوضِ الثَّانِي
قَصْرٌ عَظِيمٌ كَالْمِنَارَةِ شَامِخٌ وَسَطَ الْمَدِينَةِ مُهْتَدَى الْحَيَوَانِ.²⁴

5. خاتمة:

رحلة "سوانح وارتسامات عابر سبيل" لمحمد الصالح رمضان موثقة بعناوين فرعية تعكس ما جال في قلب وفكر وشعور الكاتب، كان التركيز فيها على الترويج السياحي للمدن والأماكن التي زارها الرحالة عن طريق السرد والوصف، بالإضافة إلى نقل عدّة حقائق علمية وتاريخية وجغرافية وثقافية، وذكر مختلف النظم السياسية والعادات والتقاليد وطباع الشعوب ومعاملاتهم، في رحلتين مختلفتين زماناً ومكاناً، حيث جاء ذلك بأسلوب علمي وأدبي يعكس روح الرحالة المؤرّخ والأديب والشاعر والناقد.

فقد وصف الرحالة رحلته الثقافية وصفاً دقيقاً، مسجلاً تفاصيلها بدءاً بالاستقبال المميز الذي حظي به الوفد الجزائري من طرف الشعب البولوني المنظم لمهرجان الشّباب، مروراً بالمدن والأماكن التي زارها، ناقلاً لثقافة شعوب تحرّرت من وطأة الاستعمار متطلّعين وحالماً بحريّة وطنه.

6. قائمة الإحالات:

- الجيل، سنة 1991م، ص488. ¹ ابن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ج2، ط1، دار
² ابن منظور لسان العرب، المجلد3، ص109.
³ سورة قريش، الآية2، 1.
⁴ للنشر: صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق محي الدين أبي زكرياء يحيى بن شرف النووي، محمد السيّد عبد الرّب، مكتبة أبي بكر الصديق
والتوزيع، القاهرة، ج1، سنة2006، ص16، 17.
⁵ ط1، مكتبة الوفاء، القاهرة، سنة: ينظر بطرس البستاني، دار المعارف، بيروت، لبنان، سنة1984م، ص564. /و ناصر عبد الرزاق الوافي، الرحلة في الأدب العربي
1995، ص23.
⁶ 1989م، ص3. ينظر المسعودي أبو الحسن عليّ بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تقلّم محمد السويدي، موفم للنشر، الجزائر، ج1، سنة
⁷ ينظر أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، ص383، 384، 385.
⁸ ينظر محمد الصّالح رمضان، رحلة سوانح وارتسامات عابر سبيل، تقلّم عمر ابن قيمة، مراجعة عبد المجيد بن داود، منشورات المجلس
العربيّة، الجزائر، سنة2004م، ص11، 12، 13.
- جريدة البصائر، السلسلة الثالثة، - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص589
وارتسامات عابر سبيل، ص15. ⁹ عمر ابن قينة، أستاذ محاضر بجامعة الجزائر المركزية، بمعهد اللّغة العربيّة وآدابها، تخصّص في أدب الرحلة وقد أخرج عدّة كتب. ينظر
¹⁰ ينظر، المصدر نفسه، ص15.

- ¹¹:المصدر نفسه، ص38.
- ¹²:المصدر السابق، ص49.
- ¹³:المصدر نفسه، ص53.
- ¹⁴: المصدر نفسه، ص53-54.
- ¹⁵:المصدر نفسه، ص54.
- ¹⁶:المصدر نفسه، ص63.
- ¹⁷:المصدر السابق، ص63.
- ¹⁸:المصدر نفسه، ص63.
- ¹⁹:المصدر نفسه، ص77.
- ²⁰: ينظر المصدر نفسه، ص102.
- ²¹: ينظر المصدر نفسه، ص176.
- ²²: ينظر المصدر نفسه، ص176.
- ²³:المصدر السابق، ص179.
- ²⁴:المصدر نفسه، ص186.

قائمة المراجع

1. بن فارس، مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ج2، ط1، دار الجيل، سنة1991م. -
2. ابن منظور، لسان العرب، المجلد3، الجزء18، مادة (ر ح ل)، بيروت، لبنان.
3. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2/على خطى المسلمين حراك في التناقض، عالم المعرفة، الجزائر، 2006.
4. -بطرس البستاني، دار المعارف، بيروت، لبنان، سنة1984م.
5. -صحيح مسلم بشرح النووي، تحقيق محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي، محمد السيّد عبد الربّ، مكتبة أبي بكر الصديق للنشر والتوزيع، القاهرة، ج1، سنة2006.
6. -محمد الصّالح رمضان، رحلة سوانح وارتسامات عابر سبيل، تقديم عمر ابن قيمة، مراجعة عبد المجيد بن داود، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، سنة2004م.
7. -المسعودي أبو الحسن عليّ بن الحسن، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تقديم محمد السويدي، موفم للنشر، الجزائر، ج1، سنة1989م.
8. -ناصر عبد الرزاق الوائلي، الرحلة في الأدب العربي حتّى نهاية القرن الرابع، ط1، مكتبة الوفاء، القاهرة، سنة1995.